دراسات عربية

مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية

تصدر شهرياً عن دار الطليعة - بيروت - ص.ب ١١١٨١٣ / ١١٨٣٣١

ARAB STUDIES

A MONTHLY, CULTURAL, ECONOMIC & SOCIAL REVIEW

P.O.B. **111813** – Beirut - Lebanon

Yearly Subscription U.S. **75** Dollars

Europe : **40** Sterling

المدير المسؤول : جورج صفير - مدير الادارة : محمد سعيد حمدية

الادارة : شارع المصيطبة - محلة يزبك - بناية البستان - تلفون ٣١٤٦٥٩ / ٣٠٩٤٧٠

بيروت / لبنان - تلكس LE INTCO 20376 - 42168

الاشتراكات : (بما فيها أجور البريد الجوي) للدوائر والمؤسسات الرسمية : ٧٥ دولاراً

سورية : ٨٥٠ ل.س - العراق : ٢٠ ديناراً - أميركا : ٧٥ دولاراً

فرنسا : ٣٠٠ فرنكاً - ألمانيا الغربية : ١٥٠ ماركاً - المملكة المتحدة وسائر أقطار أوروبا : ٤٠ جنيهاً استرلينياً

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً بموجب شيك أو حوالة مصرفية

دراسات عربية

مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية

في هذا العدد :

- كلمة العدد ٢
- الرأسمالية والاشتراكية : تحليل اقتصادي في ضوء نظرية الميل نحو الالتقاء ..... **د. عبد الكريم كامل** ٣
- الأصولية الجزائرية : إفرازُ مَنْ ؟ ..... **رحماني مصطفى** ٢٣
- التنمية الريفية، مشاكلها وأهدافها في البلدان النامية والعربيّة ..... **د. عبد الأمير دكروب** ٣٠
- مهام الشباب العربي في عملية نقل العلم والتكنولوجيا ..... **د. إحسان محمد الحسن** ٦٢
- صدر الدين الشيرازي وإشكاليّة الرؤية ..... **د. كامل حمود** ٧٥
- التراث الحضاري العربي في أواسط آسيا ... **د. مجيد حميد عارف** ٨٥
- مدخل نظري جديد الى فهم الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي ..... **عرض/مناقشة: تركي علي الربيعو** ٩٥
- التحيّز والإنصاف في موقف المستشرقين من الفلسفة العربية في الإسلام ..... **د. نبيل رشاد سعيد** ١١٠
- وسائل الإتصال الجماهيرية : اليوم وغداً ..... **ليو بوجارد** **تعريب : د. عزي عبد الرحمٰن** ١١٤
- الملاّ حسن أفندي البزّاز (١٣٠٥هـ) [دراسة في حياته وشعره] ..... **فاتح عبد السلام** ١٢٣
- الميثولوجيا... التاريخ واللغة العبرية والتوراة ..... **فرحان صالح** ١٣٦

السنة السابعة والعشرون ـ العدد ٣/٤

كانون الثاني ـ شباط / يناير ـ فبراير ١٩٩٠

27 th year - No 3/4 January - February 1990

التحيّز والانصاف في موقف المستشرقين من الفلسفة العربية في الاسلام

د. نبيل رشاد سعيد (*)

ازدادت أهمية الاستشراق بالنسبة للمراجع السياسية والدينية الأوروبية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر . لقد وجدت أوروبا الاستعمارية في المستشـرقين(١) من دارسي الدين الاسلامي واللغة العربية واللغات الشرقية كالفينيقية والآرامية والسريانية والسنسكريتية والصينية ... سنداً لها في سياساتها . ان دراسة مجتمعات « الشرق »(٢) قد سهل على البعثات التبشيرية والعسكرية مهماتهـا في استغلال وغـزو الشعوب التي يسمونها بالشرقية.. أما الفلسفة فقد ازداد اهتمامهم بها وهي من جملة اهتماماتهم بالثقافة الشرقية . ومن أشهر المستشرقين في ميدان الفلسفة العربية في الاسلام هم : تيوفيل تنمان ، وهنري كوربان ، وارنست رينان ، وليون غوتييه ، وت. ج. دي بور .

تعتبر مصر من أكثر الدول نشاطاً للمستشرقين ، فقد زارها الكثير منهم ودرسوا في الأزهر وغيره اللغة العربية وعلوم الدين الاسلامي والفلسفة الاسلامية .. وأصبحوا رواداً للبحث العلمي في عقود ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ . وقد تتلمذ على يدهم عدد من المفكرين العرب أمثال : مصطفى عبد الرزاق ، وعلي العناني ، وأحمد أمين ، وعبد الوهاب عزّام ، وطه حسين ، وأحمد حسن الزيات ... .

ونشير هنا الى رأي بعض المستشرقين في الفلسفة العربية في الاسلام ، ومن أبرز هؤلاء : « ارنست رينان ، وت. ج. دي بور..

(*) جامعة سبها/ كلية التربية .

(١) المستشرق : هو الباحث الأوربي أو الأمريكي أو الاسترالي أو الروسي الذي يقوم بدراسة تراث الشرق المتمثل في : لغاته ، وعلومه ، وفلسفته ، وعاداته ، وتقاليده ، ومزاجـه ، وكل مـا يتصل بحيـاة الشرقيين وتـاريخهم الطويل . وقد تخصص المستشرقون في جوانب متعددة في دراسة تاريخ الشرق : كالكيمياء والفلسفة والتصوف والتشريع وعلوم اللغة وعلوم القرآن والحديث ، لهذا وجدوا بأنه من الضروري تكوين هيئة علمية سميت « بمؤتمر المستشرقين » ، حيث اتفق هؤلاء على أن يكون انعقاد هذه الهيئة العلمية كل ثلاث سنوات ، فعقد أول مؤتمر للمستشرقين في عام ١٨٧٤م في باريس .

(٢) الشرق : مصطلح قديم ظهر بسبب الاعتقاد بأن البحر الأبيض المتوسط يقع وسط العالم ، وبناء على ذلك تتحدد الجهات . وبالرغم من فقدان أهمية الدول التي تقع « شرق » البحر المتوسط (من حيث تأثيرها في الأحداث العالمية) ، الا أن اللفظ استمر في الاستخدام كـدلالة على تلـك الدول ، كـانت لفظة « شـرق » تطلق على المجتمعات التي دخلت الاسلام كالبلاد العربية وشمال أفريقيا ، الا أن المصطلح يطلق على الشعوب الأخرى التي لم تدخل الاسلام ولم تتكلم العربية كالهند مثلاً .

أما « ارنست رينان »[٣] فقد قسم البشر الى ساميين[٤] وآريين[٥] في كتابه : تاريخ اللغات السامية » ، فنظر الى الآريين باعتبارهم بناة حضارة وأصحاب عقول تؤلف بين الأشياء ، أما الساميّون فإنهم أصحاب عقول لا تجمع بين الأشياء وهي نقلية تتقبل الدين ولا تتقبل الفلسفة . يقول رينان : أما الفلسفة فلا يمكن أن نطالب الساميين أو العرق السامي بدروس في الفلسفة، انهم فقط استعاروا الفلسفة من اليونان ونقلوها الى لغتهم ، وهم مدينون لليونان بكل ما عندهم من فلسفة ، الا ان رينان قد تراجع عن رأيه فيما يتعلق بفلسفة « ابن رشد » في كتابه « ابن رشد والرشدية » حيث اعترف بعظمة ابن رشد في عطائه الفلسفي.

وأما دي بور[٦] وهو صاحب كتاب « تاريخ الفلسفة في الإسلام » فقد كتب عن الفلسفة الإسلامية قائلاً : « ونكاد لا نستطيع أن نقول ان هناك فلسفة إسلامية بالمعنىٰ الحقيقي لهذه العبارة ، ولكن كان في الاسلام رجال كثيرون لم يستطيعوا أن يردوا أنفسهم عن التفلسف ، وهم ، وان اتشحوا برداء اليونان ، فإن رداء اليونان لا يخفي ملامحهم الخاصة ... »[٧] . وبالرغم من انكار دي بور لوجود فلسفة اسلامية حقيقية كما جاء في النص ، الا انه قد ناقض نفسه واعترف بوجود اصالة في الفلسفة الاسلامية وبأن الفلسفة اليونانية التي تأثر بها الفلاسفة المسلمون لم تستطع أن تخفي ابداعاتهم الفلسفية ، فهناك رجال لم يستطيعوا أن يردوا أنفسهم عن التفلسف.

ويمكننا أن نلخص آراء المستشرقين في الفلسفة العربية في الاسلام كالآتي :

---

٢) ارنست رينان : (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) ، مستشرق فرنسي . من كتبه : « تاريخ اللغات السامية » ، و « ابن رشد والرشدية » ، و « تاريخ نشأة المسيحية » (٨ أجزاء) . قسم رينان البشر الى ساميين وآريين ، وادعىٰ بأن « العرق » الآري يمتاز بملكة الخلق والابداع ، في حين ينظر الى الثقافة التي سميت بالسامية بأنها شاذة لأنها سامية وشرقية . والواقع أن أكثر المستشرقين قد بنوا آراءهم عن الشرقيين على أساس التعصب الديني والجنسي (العرقي) .

٤) سامي : جاء المصطلح من اسم « سام بن نوح » . لقد ذُكر في التوراة بأن نوح له ثلاثة أولاد ، سام وحام ويافث ، فسام أبو الاسرائيليين وأخوانهم ، وحام أبو الزنوج ، ويافث أبو بقية البشر . وقد أعطى علماء اللغات السامية لباساً علمياً لهذا التصنيف للبشر ، في القرن التاسع عشر . وتطلق لفظة «السامية » على الشعوب التالية : العرب ، والبابليين ، والآشوريين ، والكنعانيين ، والفينيقيين ، واليهود ، وغيرهم .

٥) آري : مصطلح ذو أصل سنسكريتي . استخدمه علماء اللغة في وصف الجنس الأوربي وبعض الأمم الأسيوية . و « آريا » اسم شعب نشأ في النجد الفارسي ثم انحدر الى الشمال الغربي من الهند حاملاً معه ديانته « الفيدية ». ولهذا الشعب كتاب مقدس هو « الفيدا » الذي يحوي مجموعة مزامير الى الآلهة ، واليوم هو دين البراهمة والهندوسيين . وعند استعمار الأوروبيين للهند لاحظ علماء اللغة الأوروبيون وجود تشابه بين اللغة السنسكريتية التي هي لغة «الفيدا» وبين اللغات الأوروبية، وهكذا ردوا مجموعة من اللغات الى أصل واحد، ثم جعل العلماء أنساب اللغة الى أنساب الأمم التي تتكلم بها . وعلىٰ هذا فإن الآريين هم الذين يرجع اصل لغتهم الى أصل واحد وهو اللغة السنسكريتية وغيرها .

٦) ت .ج . دي بور : توفي عام ١٩٤٢ ، مستشرق هولندي ، من مؤلفاته : « تاريخ الفلسفة في الاسلام » كتبه بالألمانية ، ترجمه الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة . تناول فيه الفلسفة الاسلامية منذ نشأتها ، وأبرز المشكلات التي عالجتها .

٧) ت.ج. دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار النهضة العربية ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٥١ .

أولاً : ان الفلسفة العربية في الاسلام تعريب لفلسفة أرسطو (تنمان) .
ثانياً : انها صورة منقولة عن الفلسفة اليونانية على وجه العموم (تنمان ، رينان).
ثالثاً : انها المزاوجة بين الدين الاسلامي والفلسفة اليونانية (دي بور ، غوتييه).
رابعاً : كان للمعتقدات الشرقية أثر في الفلسفة العربية في الاسلام ، الى جانب أثر الفلسفة اليونانية ، وأثر الدين الاسلامي (كوربان).
خامساً : كان لعلم الكلام دور كبير في تاريخ الفكر الاسلامي (رينان ، غـوتييه ، كوربان)[٨].

ان ما تقدم من آراء المستشرقين لا يخلو من الموضوعية في بعض الأحيان .. الا ان التحيز واضح أيضاً .. لأن آراء هؤلاء تقوم أساساً على النظرة العرقية.

ونستطيع أن نلاحظ باختصار ما يلي :

* ان الفلاسفة العرب قد تـأثروا بفلسفـة أرسطو ، ولكنهم أعطـوا وجهة نظـرهم الخاصة في الفلسفة والمنطق عند ابن سينا وابن رشد مثلاً .. ولم تكن مجرد تعريب لفلسفة ومنطق أرسطو فحسب.

* والفلسفة العربية في الاسلام ليست الا صورة منقولة عن اليونانية .. فإن هذا الرأي غير منصف .. فلقد أضاف الفلاسفة المسلمون الكثير بعد مزاوجة أفكارهم بأفكار اليونان ، وقد اعترف بعض المستشرقين بعظمة ابن سينا وابن رشد.

* وفيما يتعلق بالمزاوجة أو التوفيق بين الدين الاسلامي والفكر اليوناني ، فإن ذلك ليس نقصاً ، بل القدرة على التوفيق بين فلسفتين من بيئتين مختلفتين ، هو ابداع في حد ذاته.

* أما تأثر الفلسفة العربية في الاسلام بالمعتقدات الشرقية ، فلا شـك ، ان أية فلسفة حقيقية لا بد أن تنبع جذورها من بيئتها أولاً ، ومن ثم تتأثر بالأفكار الأخرىٰ ثانياً.

* ان علم الكلام يمثل نشأة الفلسفة الاسلامية ، حيث تعرض الى مشكلات متعددة ، فقد دعىٰ القرآن الكريم الى التفكر والتدبر بها كمشكلة وجود اللّٰه والإنسان والكون... .

ولا يمكن الإنكار بأن الفلسفة العربية في الإسلام قد تأثرت تأثراً كبيراً بالفلسفة اليونانية وبأرسطو على وجه الخصـوص ، الا ان ذلك لا يعني انهـا تابعـة وذيل للفكـر اليوناني .. فليس كل متأثر تابعاً وغير مبدع . فالفكر غير مقتصر على جنس من الأجناس ، فإن جميع المجتمعات البشرية قد جرّبت الحضارة ، والأرض لم يعد لديها من الشعوب التي لم تُستخدم بعد ، فكلها أسهمت بنصيب في الحضارة الانسانية.

وإذا نظرنا بصورة إجمالية الى انتقادات المستشرقين للفلسفة الاسلامية لوجدنا أنها تتركز في نقطتين :

أولاً : ان الفلسفة في الاسلام ليست مبدعة أو غير أصيلة لأنها « متأثرة » بالفلسفة اليونانية .

إن التأثير ليس هو الاتباع دائماً ، حيث أن جميع الفلسفات تنشأ متأثرة بـأفكار

---

(٨) انظر مقال لتيسير شيخ الأرض : « الفلسفة العربية في الاسلام وتصورها الابداعي » ، مجلة الوحدة ، الرباط ، المغرب ، العدد ٦٠ ، سنة ١٩٨٩ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

أخرى ، ولا توجد فلسفة تبدأ من العدم . لقد كان أرسطو متأثراً بأفلاطون ، وأفلاطون نفسه قد تأثر بالحضارة الفرعونية . وهكذا الفارابي وابن سينا قد تأثرا بالأفلاطونية المحدثة أو بنظرية الفيض عند أفلوطين ، فكانت لهما وجهة نظر فلسفية خاصة.

ان فلاسفة الاسلام ، من أمثال الفارابي وابن سينا « كانوا يعرفون لأرسطو فضله من غير غفلة عن قصوره احياناً وخطئه ، وكانت تقع لهم علوم من غير ارسطو ، بل من غير علوم اليونان ... »(٩) . وكذلك نجد أن ابن رشد قد تأثر بأرسطو ، وهذا ثابت في مؤلفاته ، الا أنه ذو فلسفة مبدعة بدليل أن الرشدية كانت تشكل تياراً فلسفياً في أوروبا في القرون الوسطىٰ، فكانت فلسفته رافداً من روافد النهضة الأوربية . يقول العقاد : « ما من مدرسة فلسفية نشأت في أوروبا بعد القرن الثالث عشر الا أمكن أن تنتسب من قريب أو بعيد الى الثقافة الرشدية ، سواء بالاطلاع على تلك الثقافة أو بالاطلاع على تعليقات المعلقين عليها ، نقضاً أو استنكاراً أو تأييداً أو اعجاباً من كلي الطرفين »(١٠) .

ثانياً : يؤخذ على الفلسفة في الاسلام بأنها بذلت كل جهودها في سبيل « التوفيق » بين الاسلام والفلسفة اليونانية .

ان التوفيق بين الدين الاسلامي والفلسفة اليونانية يحتاج الى قدرات عقلية كبيرة ، أي ان التوفيق بين عالمين من الأفكار يتطلب عبقرية فذة من أمثال ابن رشد وابن سينا ـ « فالابداع لا يقتصر على الاتيان بالجديد ، بل يشمل استخدام القديم استخداماً جديداً . وهذا ما فعله فلاسفة المسلمين . لهذا كانوا مبدعين حقاً »(١١).

كان الفيلسوف الاسلامي يريد من فلسفته هدفاً معيناً ، ولم ينقل من الفلسفة اليونانية نقلاً مجرداً . إنه استخدم الفلسفة والمنطق اليونانيين ومزاوجتهما مع الدين الاسلامي ، للدفاع عن الاسلام . ولم يشعر مفكرو الاسلام بتلك الحاجة الا بعد مرور حوالي مائة عام على ظهور الإسلام . وهذا يدلل على أن الفكر اليوناني لم يفرض نفسه فرضاً على المجتمع الاسلامي ، إنما الحاجة اليه في توضيح حقائق الدين بالبراهين المنطقية ، هي التي دعت الى ذلك ، وبالأخص حاجتهم الى منطق أرسطو.

ومما يجدر بالإشارة إليه أن المسلمين قبل تأثرهم بالفلسفة اليونانية كانت لهم نواة فلسفية ظهرت عند علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة ، فهؤلاء يمثلون الجانب العقلي في مناقشة المشكلات الكبرىٰ في الفلسفة الا وهي : مشكلة وجود اللّه ، ووجود الانسان ، ووجود الكون ...وهي المشكلات التي طرحها القرآن الكريم ،فهو الكتاب الذي يحوي أفكاراً ونظريات عن الكون والطبيعة وما بعد الطبيعة الى جانب العبادات والشعائر الدينية ... فأفكار علماء الكلام ومجادلاتهم تمثل نشأة الفلسفة الاسلامية ، وهي الفلسفة التي تطورت ، بعد ذلك ، على يد الكندي والفارابي ...وغيرهما من فلاسفة الاسلام .

---

(٩) مصطفىٰ عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٤ .

(١٠) عباس محمود العقاد ، الفلسفة الاسلامية ، المجلد التاسع ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولىٰ ، ١٩٧٨ ، ص ٤٠٨ .

(١١) تيسير شيخ الأرض ، الفلسفة في الاسلام وتصورها الابداعي ، (مجلة الوحدة) ، العدد ٦٠ ، الرباط ، المغرب ، سنة ١٩٨٩ ، ص ٦٦ .